المأساة الفلسطينية فى بيروت

[بيان سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى حول المجزرة التى قام بها الكتائبيون المارونيون للفلسطينيين فى بيروت بتعاون القوات الاسرائيلية]

الناشر

ندوة العلماء ، ص ، ب رقم ٩٣ ، لكنؤ ، الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

المأساة الفلسطينية فى بيروت

الحمد لله وحده ، و الصلاة و السلام على من لا نبى بعده .

و بعد ! فإن إجراءات إسرائيل الوحشية الضارية فى بيروت ، و طرد اللاجئين الفلسطينيين و المناضلين للحرية و الاستقلال ، بالفرض و الاكراه ، ثم المجزرة البشعة الرهيبة للبقية الباقية من اللاجئين الفلسطينيين التى تمت على أيدى الكتائبيين ، حادثة لم يقع لها مثيل فى العالم المتحضر المعاصر ، و لا يوجد لها نظير فى العصور الماضية القريبة .

لقد تجلى من ذلك كالصبح لكل ذى عينين أنه لا يزال فى الجيل « الانسانى الحاضر » و فى الناس المتمدنين المثقفين الذين يدعون الحضارة ، تلك الوحشية الفاتكة بالأطفال و النساء ، الوالغة فى دماء الأبرياء ، التى كانت إحدى خصائص الجاهلية العمياء قبل آلاف من السنين ، و لا يزال منها بقايا فى بعض القبائل الموغلة فى الصحارى التى تعودت افتراس الآدميين و أكل لحومهم ، و التى اعتقد الناس عنها أن العلم و الحضارة و تبادل المعارف و التعارف بين الشعوب و الشعور بالحاجة إلى الوحدة و التآلف ، قد قضى عليها بتاتاً ، و استأصل شأفتها للابد .

كما أثبتت المجزرة الفظيعة الهائلة للاجئين الفلسطينيين التى ارتكبتها الأيدى الآثمة لحزب الكتائب (الذى كان رئيسه بشير الجميل رئيس لبنان المقتول) أن الكراهة و العصبية الدينية لا تزال فى العالم المسيحى بصفة خاصة ، أو فى هذه المنطقة بالذات على أقل تقدير ، حية مشتعلة متأججة كما كانت

تتلظى فى صدور المهاجمين الأوربيين الصليبيين الذين قادوا الجيوش إلى فلسطين فى قيادة الملك رتشارد و غيره من رؤساء الدول الأوربية ، و سفحوا دماء المسلمين حتى جرت على الأرض كالأنهار و غاصت فيها الخيول الصليبية إلى ركبها ، على حسب تصريح الكاتب المسيحى فى الموسوعة البريطانية (Encyclopaedia of Britanica) .

كما تجلت أيضاً حقيقة أخرى كالشمس فى رابعة النهار ، و هى أن الضمير الانسانى ، و الشعور الخلقى ، و تنديد الشعوب المحبة للعدالة و السلام ، و شجبها و استنكارها ، بل و استنكار الحكومات و احتجاجات منظمة عالمية كبيرة كهيئة الأمم المتحدة و قراراتها ، لا قيمة لها و لا تأثير إزاء قوة أثيمة مصممة تمضى لتحقيق أغراضها الدنسة و نياتها الخبيثة ، ولا تقف فى وجهها إلا قوة منظمة مسلحة تعتمد على إرادتها الصارمة و عزيمتها الأكيدة ، و أنه لا تزال تتحكم فى هذا العالم المتمدن شريعة الغابات و قانون العصابات ،

و القاعدة المنحرفة الشاذة التى تقول « Might is Right » (إن القوة هى الحق) ، و سفيه و عدو نفسه من يعقد الآمال فى مستقبل الأيام ، بهذا الضمير العالمى ، أو بهيئة الأمم المتحدة ، أو بالحلفاء و الموالين ، و باستنكار الناس المحبين للعدالة و السلام و احتجاجاتهم و مظاهراتهم ، فإن ذلك لا يعدو تسلية الأطفال و خداع النفس ، و لا يقل عن « الإنتحار » ، و لم يتبد للناس عياناً و جهاراً ضعف هذه الوسائل و قلة غنائها من زمن بعيد كما تبدى ذلك واضحاً جلياً فى هذه المأساة المفزعة التى استفزت الوجدان و تندى لها جبين الإنسان .

و مما ظهر أيضاً كحقيقة بديهية أن اتخاذ أى إجراء أو أى عملية اعتماداً على إحدى القوتين الكبيرتين فى العالم (روسيا و أمريكا) أو الرجاء منهما فكر صيانى و غرور ، بلى به العالم الإسلامى أخيراً ، و لم يبق الآن أى مبرر له ، فلا حركت روسيا إصبعاً لمساعدة تلك الدول التى انضمت

إلى كتلتها و تستورد منها الأسلحة كسورية ، و لا أعانت أمريكا تلك الأقطار التى كانت تحت « مظلتها الحامية » ، و التى ظنت أنها تحرس مصالحها و تضمن لها بالوجود و البقاء .

أما أمريكا فمما لا شك فيه أن إسرائيل كانت و لا تزال كلبها المعلم للصيد لا أكثر و لا أقل ، يعدو بإذن مربيه و إشارة منه ، بل يصول بأمر منه على الفريسة ، و يرميها مقتولة مصطادة على قدميه .

لقد أثبتت البيانات و المعلومات المؤخرة أن كل ما وقع لم يكن مفاجأة لأمريكا ، كما ثبت بكل صراحة أن ضمير هذا البلد الكبير ، المتمدن الراقى ، الذى يتألم لألم الحيوانات ، و لا يسمح بالاعتداء عليها لا يحرك ساكنها ما اجترمه الإسرائيليون و المارونيون مع المسلمين و العرب ، من هجمة ضارية و وحشية مفظعة ، و لم تحدث على أرضها احتجاجات و مظاهرات حتى كالتى وقعت فى إسرائيل نفسها .

و ثبت أن أمريكا لا تقصد إلا إلى تحويل لبنان قاعدة أمريكية ، و تهدف إلى إقامة دولة مسيحية فى منطقة الشرق الأوسط و العالم العربى تكون عميلة رخيصة لها ، لا تختلف أغراضها عن الأغراض الاستعمارية التى أقامت الدولة البريطانية لأجلها حكومة إسرائيل فى قلب العالم العربى ، و كانت قد نجحت فى تحقيق هذه الخطة لقصر نظر الحكومات العربية وقتئذ ، و ضعف الحمية الدينية و القومية فيها ، فلم تقم بالمقاومة الجادة الصارمة ، بل مثلت مسرحية الحرب ، لخداع جماهيرها التى لم يكن فيها دور جيوشها إلا ما أملى به عليها السادة الأوربيون ، أو ما دعت إليه الضرورة و الملابسات المحلية ، و كان شأنها فى حرب فلسطين كما قال الشاعر العربى :

أوردها سعد و سعد مشتمل

ما هكذا تورد يا سعد الإبل

لقد علم كاتب هذه السطور كل هذه الحقائق المؤلمة فى رحلته إلى القدس و الأردن عام ١٩٥١م عن طريق الرواة الثقات و شاهدى العيـــان الذين حكوا حكايات هذه المهزلة و هم يبكون ، و قد صرح بهـا فى مذكراته عن هذه الرحلة التى نشرت باسم : « مذكرات سائح فى الشرق العربى » .

و إنه يجب مع معرفة هذه الحقائق التى تتصل بالقوى الخارجية و المنظمات العسكرية المهاجمة و الجهات التى ساعدتهـا و أيدتها ، الاطلاع على حقيقة أخرى ، و كشفها و الاعتراف بهـا ، وهى أن مسؤلية هذه المأساة الدامية و الحادثة المرجفة التى أذلت رقاب المسلمين فى العالم كله ، و ذاقوا مرارتهـا و شاطروا فى حزنها و عارها فى كل بقعة من بقاع الأرض ، و ما شوهد بمناسبة هذه المـأساة من تبلد شعور العـــالم الاسلامى ، و عدم إثارتهـا لضمير العـــالم العربى و شعوره إثارة تبدو آثارها ، و ردود فعلهـــا فى شكل جلى واضح ،

تقع هذه المسؤلية أولا و قبل كل شئ على الدول العربية المواجهة ، و الحقيقة أن الشعوب و الجماهير المسلمة و العربية (كما علمنا ذلك عن طريق مصادر عليمة ذات اختصاص) تعانى كبتاً نفسياً و قلقاً داخلياً يغلى مرجله ، و لكنها مضغوطة مغلوبة على أمرها ، نتيجة بعض الحوادث الماضية و بإشارة من القوى الكبرى ، فلا تستطيع أن تمثل دورها فى هذه المعركة ، و تقوم بواجبها و تنفس عن نفسها .

و لا تزال فى منطقة الشرق الأوسط دول مسلمة و عربية قوية كانت تستطيع أن تقاوم إسرائيل و تحبسها فى قمقمها ، و لكن جميع طاقات هذه الحكومات العربية المسلمة و كفاءاتها و عبقرياتها استهلكت من زمان فى قمع العواطف الدينية و الحمية الإسلامية التى بدأت تجيش بها صدور الشباب المسلم ، و بدأوا يطالبون باقامة مجتمع إسلامى سليم كريم و قوى ، فى بلد إسلامى خالص ، و لكن

هذه الطاقات إنما شغلت بعملية التخلص من تلك العناصر السليمة القوية التى كانت — لو سمح لها بابداء مواهبها و قوتها الايمانية — أعظم قوة تمثل دوراً رائعاً فى معركة الحق و الباطل و العدل و الظلم ، فساحة العرب الحقيقية و المعركة الحامية قائمة على قدم و ساق بين هذه الحكومات و شعوبها ، فأنى تجد هذه الحكومات فرصة للنظر فى خطر خارجى مشترك داهم ؟ .

هذا و فى جانب آخر ضعفت الدعوة إلى إشعال الجمرة الايمانية فى القلوب و تربية النفوس على بذل النفس و النفيس فى سبيل الله و الاستهانة بالحياة ، و الحنين إلى الشهادة ، و قد ظهرت بعض نماذجها فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ م على أيدى المتطوعين من المسلمين العرب المجاهدين .

ثم إن هذه الحكومات ابتليت أخيراً بالفلسفات المستوردة و الأنانيات القيادية فسادت عليها الخلافات

و الانقسامات التى لا تقضى عليها إلا الوحدة الإسلامية و العاطفة الإيمانية أو الشعور القوى بالخطر المشترك من العدو المتربص ، و لكن هذه القوى الايمانية — للأسف الشديد — استهدفت للقاومة أو الاستهانة على الأقل فى الحكومات العربية و البلدان التى رفعت رايات « القومية » و « الاشتراكية و « البعث العربى » ، و من الحقائق المؤلمة أيضاً أن البلدان التى لم تغزها هذه الفلسفات المستوردة ، نخرها الترف و البذخ ، و التنعم فى الحياة ، فعل السوس و الدود فى الخشب ، و لم يدع فيها عرقاً ينبض للمغامرة و ركوب الصعاب و الاستهانة ، و بلغ بهم هذا الاسترخاء و الجمود إلى أنهم لم تحدثهم نفوسهم لمقاطعة الشركات و البضائع الأمريكية ، و يعلنوا شجبهم و استنكارهم و كراهتهم لدور أمريكا و صنعها فى المأساة الرهيبة .

و مع كل ما تقدم فان هناك حقيقة مرة أخرى ، و هى أن العالم الإسلامى فقد تلك القوة التى أشار إليها

القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة إلى حد مقلق خطير :

« و لا تهنوا فى ابتغاء القوم ، إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون و ترجون من الله ما لا يرجون »
(النساء : ١٠٤) .

تلك القوة الإيمانية و العاطفة الدينية التى تجلت أروع مظاهرها فى رجال القرن الأول ، و أبطال العهود التاريخية الإسلامية ، و فى حركة الامام السيد أحمد بن عرفان الشهيد ، و الشيخ محمد اسماعيل الشهيد ، الإصلاحية الجهادية ، و أصحابهما و رجال حركتهما الجهادية العظيمة فى منتصف القرن الثالث عشر الهجرى (القرن التاسع عشر المسيحى) ، و قد حكينا بعض حكايات هذه البطولات الرائعة و القوة الإيمانية الدافقة فى كتابنا « إذا هبت ريح الإيمان » .

و لم يظهر للأسف الشديد بعد حركة الامام أحمد بن عرفان الشهيد فى ما يقرب من قرن و نصف قرن ، دعوة

قوية أو حركة مؤثرة — باستثناء حركة الاخوان المسلمين فى مصر إلى حد ما — تنفخ فى الأمة الإسلامية روح الإيمان و التضحية و الفداء ، و قد كان نتيجة ذلك ما نراه من تخاذل المسلمين و ذلهم و مسكنتهم ، و فقدهم الشعور و الحمية ، و هو الذى جرأ الإسرائيليين و المارونيين على هذا التطاول الوقح و الاعتـــداء السافر ، و تخطى حدود الإنسانيـــة .

لقد كان كاتب هذه السطور أبدى قبل ٩ سنوات — بعد إقامته لعدة أيام فى بيروت عام ١٩٧٣م — بعض انطباعاته و مشاعره و كشف عن بعض الأخطار فى مذكراته لرحلته المنشورة باسم « من نهر كابل إلى نهر اليرموك » ، و قـد تحققت هذه الأخطار و أصبحت واقعاً ملموساً .

لقد شعر كاتب هذه السطور فى ذلك الوقت أن المجاهدين و اللاجئين الفلسطينيين الذين يقيمون فى بيروت

ليسوا إلا نزلاء غير مرغوب فيهم ، و أن سكان بيروت المسيحيين و حكومة لبنان لم تقبلهم عن رضا و طيب نفس ، و قد حدثت اشتباكات عديدة بين الفلسطينيين و الجيش اللبناني ، و أنقل هنا ما قلته في مذكراتي عن بيروت :

« و قد مررنا بمناطق البلد المختلفة المتناقضة أحيانا في المستوى الديني ، و الاقتصادي . و الاجتماعي ، و مررنا في طريقنا إلى البحر ، و إلى الامام الأوزاعي ، بالمناطق التي كانت مركزاً للفدائيين و وقعت فيها المعركة الحامية بين الجيش اللبناني و الفدائيين و كيف اشتغلت العواطف الدينية المختلفة و الأغراض السياسية في هذه المعركة ، و ما كان لها من أثر في حياة البلد و في علاقات العناصر المختلفة ، بعضها ببعض ، و رأينا ما تركته الرصاصات و القنابل من آثار في البنايات ، و في قلوب سكان هذا البلد ، و ما تكتنفه قضية اللاجئين ، و مسألة فلسطين من تعقد و غموض ، و تناقض و تردد ، لا يوجد نظيره في قضايا العالم الاسلامي المعاصر الأخرى .

و مررنا بالمنطقة التى يسكنها اللاجئون الفلسطينيون و ما تتسم به هذه المنطقة ، من تخلف و فقر ، و عدم نظافة ، و عدم ثقة بالمستقبل ، و تذمر من الأوضـــاع القائمة . و كله نذير خطر ليس فى هذا البلد فحسب ، بل فى العالم العربى كله ، و هو وضع غير صالح للبقاء و الاستمرار ، مهما طالت مدته ، و أرخى الستار عليه ، هذا و البلد يرفل فى حلل من رغد العيش و فائض من الأموال و الخيرات ، و يتقلب فى أعطاف الحياة الرخية و العيش الهنىء » (من نهر كابل إلى نهر اليرموك ، ص / ١٢١ الطبعة الثانية) .

و أدعو الله تعالى — أخيراً — أن يجعل هذه المأساة الهائلة التى هزت العالم الإسلامى هزاً ، سبباً لليقظة الجديدة و الاستعداد الجديد و توحيد القيادات و إخلاصها للإسلام فى العالم الإسلامى و فى العالم العربى بصفة خاصة و للنهضة الإسلامية الجديدة فى المسلمين أجمعين ، فانه لا يتدارك ما فات المسلمين بأقل من ذلك ، و الله المستعان ، و عليـــه فليتوكل المتوكلون .

للمؤلف :

الفتح للعرب المسلمين

رسالة تثبت أن انتصار الصهيونية و تحقيق بعض أهدافها ، ليس انتصار رسالة على رسالة ، و لا انتصار أمة على أمة ، و لا انتصار دين على دين ،فإن اليهود ليست لهم رسالة و لا أهداف إلا تقديس العنصر و الدم و الغلو فى تعظيم سلالة واحدة ، و الاستيلاء على جميع الامكانيات فى صالح نسل واحد ، و عدم الاعتقاد بعقيدة المساواة ، و هى لا تصلح للبقاء ، و لا للسيادة الدائمة ، فإن الشعوب و الأمم تعيش بالرسالات و الفضائل ، و ما تحمل من إفادة و نافعية .

أما الأمة العربية فهى رغم جميع العلل و مواضع الضعف مازالت و لا تزال صاحبة دعوة انسانية ، و هى أمة زاخرة بالحيوية و القوة ، و هى صاحبة الرسالة الخالدة ، فإذا تحققت فيها متطلبات تلك الرسالة الخالدة ، و نفخت روحها و سمح لها بخوض المعركة ، فإنها ستحقق الانتصار ، فإن الاسلام هو الاسلام ، و الكتاب هو الكتاب ، و الايمان هو الايمان .

تطلب من المجمع الاسلامى العلمى ، ندوة العلماء لكنؤ الهند .

مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ [الهند]